بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم أغننا برحمتك يا أرحم الراحمين.

يقـــول نجـــل عابـــد الـــرزاق بســـم الإلـــه ربنـــا الخـــلاق
أحمـــده علـــى جميـــع الـــنعم ممـــا علمتهـــا ومـــا لـــم أعلـــم
لا ســـيما النعمـــة بالإيمـــان وبعثـــه بالرحمـــة العـــدناني
صـــلى وســـلم عليـــه الله وآلـــه ومقتـــف قفـــاه
وبعـــد فـــالحروف ذات مخـــرج وصـــفة مشـــهورها بـــه أجـــي
إن شـــاء ربـــي هاكهـــا منظومـــه مـــن كتـــب مشـــهورة معلومـــه

يقول مضارع قال واوية العين وهو مرفوع لتجرده من ناصب وجازم؛ ونجل عابد الرزاق نجل منه فاعل وعابد الرزاق مركب إضافي معروب على جزئه الأول وهو مضاف إليه ما قبله؛ وبسم الإله الباء فيه مما قيل فيها أنها للاستعانة وهي ومجرورها متعلقهما محذوف يقدر بحسب المقام والمناسب هنا أن يكون أؤلف مستعينا ومتبركا بسم الإله أي الله ربنا؛ ويندب الابتداء ببسم الله في الأمور المهمة ذات البال لما روى الخطيب في جامعه: كل أمر ذي بال لا يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع؛ وروى ابن حبان: كل كلام لا يبتدأ فيه بحمد الله فهو أقطع؛ وفي رواية الإمام أحمد في مسنده: كل أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله فهو أبتر أو قال أقطع؛ وهذه الأحاديث وإسنادها واسطتي فيها الحطاب في شرح خطبة الشيخ خليل، ونجل عبد الرزاق هو سيد محمد بن عبد الرزاق بن سيد محمد بن الشيخ أحمد وهو . أي الشيخ أحمد . مريد الشيخ سيديا رضي الله تعالى عن الجميع؛ ونجل عبد الرزاق هو سيد محمد المولود أيام وفاة والده عبد الرزاق رحمه الله تعالى وقد أرخها الشيخ عبد الفتاح بن الشيخ أحمد المذكور بقوله:

بكى المحرم بحذف يا بكى وعام بعطفا حرا اشتكى
فقد الهمام عابد الـرزاق وعمره حم لدى الفراق

وقال في تاريخ وفاته أيضا المختار بن المحبوب رضي الله تعالى عنهما في نظمه في التاريخ المشهور في ما وقع في سنة ١٣٦٢ هـ :

وعابد الرزاق نجل سيد محمد بن شيخنا الفريد

أحمد نجل الفاضل المنتطق بالعلم والعرفان والتحقق

وأحمده فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا والهاء مفعول به وهو من حمد كفرح والجملة فعلية خبرية لفظا إنشائية معنى لأن المقصود منها إنشاء الحمد أي أثني على الله عز وجل ربنا الثناء الجميل اللائق بعظمته الجليلة ونعمته الجزيلة التي لا تحصى ولا سيما النعمة بالإيمان التي هي أعظم النعم والنعمة بإرساله عز وجل رسوله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين؛ والحمد في عرف الشرع فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما مطلقا أي سواء كان منعما على الحامد أو غيره وهو الشكر لغة ولا يستحقه في الحقيقة إلا الله عز وجل لأنه المنعم حقيقة ونعمه لا تحصى؛ والكلام على الحمد والشكر طويل مبسوط في تراجم الكتب فليراجعه من أراده، وفي مرام المجتدي ما نصه: وقد سمع رسول صلى الله تعالى عليه وسلم من يقول الحمد لله على نعمة الإيمان فقال: إنك لتحمد الله على نعمة عظيمة، وقيل لا كلمة أحب إلى الله ولا أعظم عنده شكرا من قول العبد الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا إلى الإسلام؛ وقال: انظر عليش على الإضاءة وابن زكري. وقول الناظم رحمه الله تعالى لا سيما: سيما كلمة تفيد أولوية ما بعدها بالحكم مما قبلها وقد بسط النحاة الكلام عليها عقب الاستثناء؛ وقال ثعلب إن تشديد سي هذه ودخول لا الجنسية عليها ودخول الواو الاعتراضية عليها واجب؛ وذكر غيره أنها قد تخفف وقد تحذف الواو قبلها كما في قوله:

فه بالعقود وبالأيمان لا سيما عقد وفاء به من أعظم القرب

والهاء في فه للسكت وهو فعل أمر من وفى واستعملها الناظم هنا بدون الواو بناء على نحو هذا الشاهد والقائلين به، وقوله رحمه الله تعالى وبعثه بالرحمة العدناني فيه تلميح إلى قول الله عز وجل: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، والعدناني المراد به هنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وصلى في أصل اللغة معناها دعا ومنه قول الله عز وجل: وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ؛ ولكنها ضمنت مع ذلك معنى العطف والحنو فعديت بعلى والجملة هنا

خبرية لفظا إنشائية معنى؛ وسلم بمعنى وق ومفاد ما قالوا هنا أن المصلي والمسلم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلاحظ أنه يطلب من الله عز وجل زيادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أعطاه من الرحمات وإظهار فضله وتعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار شريعته وبقائها وسلامتها وفي الآخرة بإجزال ثوابه وتشفيعه وتفضيله الخ اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

وفي ميارة الكبير على المرشد المعين: لا يتوهم المصلي أن صلاتنا عليه شفاعة منا له عند الله عز وجل في زيادة رفعة وبلوغ منية فإن مثلنا لا يشفع لعظيم القدر عند ربه مثله لكن الله سبحانه أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا ولما أحسن إلينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إحسانا لم يحسن علينا مخلوق مثله وأكرمنا إكراما مثل ذلك وكنا عاجزين عن مكافأة سيد المرسلين وحبيب رب العالمين أمرنا ربنا سبحانه وتعالى أن نرغب إليه بأن يصلي هو عليه لتكون صلاته عز وجل عليه مكافأة له صلى الله تعالى عليه وسلم إذ لا إحسان أفضل من إحسانه صلى الله تعالى عليه وسلم علينا إلا إحسان الله عز وجل علينا والمنعم ببعثه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة إلى خلقه تعالى وعليه فصلاتنا عليه إنما هي قضاء حق علينا ومكافأة إحسان له صلى الله تعالى عليه وسلم فهي مطلوبة منا، وسلم فعل أمر من سلم على وزن فعل بالتضعيف.

وآله صلى الله تعالى عليه وسلم عند المالكية . المنتسب أنا لهم . بنو هاشم فقط وعند الشافعية والحنبلية بنو هاشم وبنو المطلب وعند الحنفية فرق خمس آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وآل الحارث؛ ولكن قالوا إن الآل لها معان وتفسر في كل مقام بما يناسبه فالمناسب في مقام الدعاء أن يكون المراد بآله أمة إجابته قال عبد الحق في تهذيبه: أعرف لمالك رضي الله تعالى عنه أن آل محمد كل من تبع دينه كما أن آل فرعون كل من تبع دينه واختاره الأزهري وغيره من المحققين؛ وحكى أبو عبد الله الهروي عن ابن عرفة أن آله صلى الله تعالى عليه وسلم من آل إليه بدين أو مذهب أو نسب انظر الفاسي في شرح دلائل الخيرات للجزولي رضي الله تعالى عنه.

وقوله رحمه الله تعالى ومقتف قفاه اسم فاعل من اقتفاه اتبعه، وقوله وبعد كلمة ينتقل بها من أسلوب إلى أسلوب والأكثر منهم قالوا إن الواو نائبة مناب أما وأما نائبة مناب مهما

وحملهم على ذلك وجود الجواب بعدها مقترن بفائه؛ وقال الدسوقي في حاشيته على أم البراهين: الواو في وبعد للاستئناف والظرف معمول المحذوف أي وأقول بعد ما تقدم والفاء زائدة لتحسين الكلام أو تنزيلا للظرف منزلة الشرط كقوله تعلى: وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ؛ وما قاله قريب وحسن اهـ

وبعد ظرف زمان بحسب اللفظ وظرف باعتبار الخط أي المكتوب أفاده الفاسي؛ وهي هنا مبنية لقطعها عن الإضافة في اللفظ مع نيتها والغايات تشبه الحرف إن قطعت عن الإضافة لفظا ونوي معناها في الافتقار اهـ وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على الحروف ومخارجها في الأبيات بعد هذه، وقوله مشهورها به أجي يعني به أن مشهور صفات الحروف يجيء به في هذا النظم، وهاكها اسم فعل بمعنى خذها والهاء الثانية مفعول به، ومنظومة حال منها

ثم قال الناظم:

يـــا رائمـــا مخـــارج الحـــروف دونكهـــــا فـــــاخرة الشـــــفوف

عـــددها عنـــد الخليـــل عشـــرة مـــع ســـبعة جـــاء بهـــا مقتفـــره

حلـــق لســـان وكـــذاك الشـــفتان قـــد قســـمت جملتهـــا فيمـــا اســـتبان

والجـــوف والخيشـــوم جلهـــم يزيـــد فـــاعن بهـــا فإنهـــا علـــم مفيـــد

المخارج جمع مخرج وهو كما قال الداني الموضع الذي ينشأ منه الحرف؛ والحروف جمع حرف ومن معانيه لغة طرف الشيء؛ وفي الاصطلاح صوت معتمد على مخرج محقق أو مقدر كما داخل الحلق والفم؛ وذهب الخليل بن أحمد شيخ سيبويه وابن الجزري إلى أن مخارج الحروف سبعة عشر مخرجا؛ وتنحصر المخارج كلها في خمسة مواضع عند الخليل وهي الجوف والحلق واللسان والشفتان والخيشوم؛ والمراد بالجوف الفراغ الداخل في الحلق والفم وهو مخرج حروف المد الثلاثة عند الخليل؛ وأسقط سيبويه الجوف وجعل الألف المدية من أقصى الحلق والواو والياء المديتين من مخرجي غير المديتين.

قال في النجوم الطوالع: والأصح المختار مذهب الخليل وعليه أكثر القراء والنحويين؛ وحصر المخارج فيما ذكر على حسب التقريب وإلا فالتحقيق أن لكل حرف مخرجا يخالف مخرج الآخر كما يأتي إن شاء الله تعالى.

ثم قال الناظم:

فـــآخر الحلـــق حـــذاء المنحـــر همـــز فهـــاء ألـــف بـــه حـــر
عـــين وحـــا تجـــاورا فـــي وســـطه فوقهمـــا غـــين فخـــا فـــي طرفـــه
فهـــــذه مضـــــافة للحلـــــق لكونـــــه مخرجهـــــا فـــــي النطـــــق

اشتملت الأبيات الثلاثة على مخارج الحلق الثلاثة آخره الذي يلي المنحر ووسطه وطرفه الأدنى من اللسان وتعيين ما لكل منهما من الحروف ووجه تسميتها؛ فالمخرج الأول الذي هو آخر الحلق أي أقصاه الذي يلي الصدر تخرج منه ثلاثة حروف مترتبة الهمزة فالهاء فالألف؛ فالهمزة أقرب الثلاثة إلى الصدر عند الإمام سيبويه ومعه الذوق وتليها الهاء وبعدها الألف؛ وقيل لا ترتيب بين الهمزة والهاء؛ وكذلك تقديم الهاء على الألف هو المشهور عن سيبويه وهو الذي عليه ابن بري والشاطبي وجماعة وروي عن سيبويه تقديم الألف عليها، المخرج الثاني من مخارج الحلق وسطه وهو للعين وبعدها الحاء المهلتان؛ وكون العين متقدمة على الحاء هو ظاهر كلام سيبويه وعليه الشاطبي وابن الجزري وقدم جماعة منهم ابن شريح والمهدوي الحاء على العين، المخرج الثالث من مخارج الحلق أدناه أي أقربه من ما يليه من الفم ويخرج منه حرفان على الترتيب الغين فالخاء المعجمتان؛ وكون الغين قبل الخاء هو ما للشاطبي وابن الجزري وهو ظاهر كلام سيبويه ونص مكي على العكس؛ وذوقي فيهما والحمد لله مع الأكثر الشاطبي ومن معه.

والحاصل أن في الحلق ثلاثة مخارج كلية وهي أقصاه إلى الصدر ووسطه وأدناه من الفم؛ وفي المخرج الأول وهو ما يلي الصدر من الحلق ثلاثة مخارج جزئية في كل واحد منها حرف وفي الثاني وهو وسطه مخرجان جزئيان في كل واحد منهما حرف وكذلك الثالث وهو ما يلي الفم من الحلق فيه مخرجان جزئيان لكل واحد منهما حرف. وأشار بقوله فهذه مضافة للحلق الخ

إلى أن هذه الحروف السبعة بزيادة الألف المدية على ما عليه سيبويه وجماعة تسمى بحروف الحلق وتسمى أيضا بالحلقية؛ وذهب الخليل والأكثرون إلى أن الألف ليس منها أي المدية وأن مخرجها الجوف أي جوف الحلق والفم ومثلها في ذلك الواو والياء المديتان.

ولما أنهى الكلام على مخارج الحلق العامة والجزئية وما لكل منها من الحروف شرع يتكلم على مخارج اللسان مبتدئا من أقصاه الذي يلي الحلق فقال:

أقصى اللسان القاف فيه كانت من فوقه في الحنك ثم بانت
وفوقها بالقرب للكاف يكون وفرجة بينهما حسا تبين
وذان فانسبن للهاة بالفتح لام لدى الثقاة

جملة مخارج اللسان عشرة: خمسة في طرفه وستأتي إن شاء الله تعالى وخمسة في أقصاه ووسطه وحافتيه أي جانبيه؛ وذكر في البيتين الأولين مخرجي أقصاه الذي يلي الحلق وهما مخرج القاف والكاف؛ أما القاف فتخرج من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى؛ وكذلك الكاف تخرج من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى أيضا إلا أن مخرجها دون مخرج القاف وبين مخرجيهما بعد لاتساع أقصى اللسان؛ فالكاف مخرجها أقرب إلى مقدم الفم وأبعد من الحلق من أختها القاف، وأفاد الناظم رحمه الله تعالى في البيت الثالث أن هذين الحرفين كل منهما يسمى لهويا نسبة إلى اللهاة بفتح اللام وهي اللحمة المشرفة على الحلق اهـ

وسطه جيم ويا في الشجر بينهما شين متى تختبر

تعرض في هذا البيت لمخرج وسط اللسان وهو مخرج واحد فيه ثلاثة مخارج جزئية لثلاثة أحرف مرتبة على هذا الترتيب: الجيم فالشين فالياء؛ فالضمير في وسطه يعود على اللسان؛ فهذه الأحرف الثلاثة تخرج من وسط اللسان وما يليه من الحنك الأعلى وهذا ما عليه الأكثرون والشاطبي وابن الجزري؛ وقدم مكي والمهدوي الشين على الجيم؛ وإطلاق الياء يتناول المدية وهو كذلك عند سيبويه وأما الخليل فالياء المدية عنده تخرج من الجوف كما يأتي

إن شاء الله تعالى، وتسمى هذه الأحرف الثلاثة شجرية لخروجها من شجر الفم بإسكان الجيم وبالتحريك في النظم للضرورة وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى، وذوقي في الجيم مع الأكثر أنها قبل الشين فهي أقرب لأقصى اللسان من أختيها اهـ

فائدة: الجيم المنعقدة في الذوق مستعلية فلا توصف باللينية التي هي معنى الشجر ولا يمكن أن يقع الخلاف بينها والشين لتأخرها جدا عنها اهـ

والضاد من حافته اليسرى جلي بأول الأضراس بانت من عل
وقبل تلك بدؤها فيما ثبت أعني التي إلى اللسان نسبت
لكنها تأخرت في المنتهى عنها لذلك تعد قبلها

تعرض في هذه الأبيات الثلاثة إلى المخرج الرابع من مخارج اللسان العشرة وهو مخرج الضاد وأشار إلى أنها تخرج من أول حافة اللسان إلى ما يحاذي الضرس الضاحك مع ما يلي ذلك من الأضراس العليا؛ والمراد بأول الحافة أقصاها المحاذي لأقصى اللسان؛ ومنتهى مخرجها متأخر عن الكاف والقاف والجيم والشين والياء؛ ويتأتى الإخراج للضاد من كل من الحافتين إلا أن إخراجها من الحافة اليسرى أيسر وأكثر ومن اليمنى قليل وعسير ومن الحافتين معا أقل وأعسر؛ وروي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرجها من الحافتين وكذلك سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى:

في ذلقه أي رأسه ثم وجد الراء واللام كذاك النون عد
لكنما اللام من أدنى الحافة مبدؤه كان من الثلاثة
والراء أقرب إلى ظهر اللسان من أختها النون كما قد استبان

هذا أول الكلام على مخارج طرف اللسان الخمسة وهو مخرج اللام والراء والنون؛ فمذهب الخليل وسيبويه ومن وافقهما من القراء والنحويين أن لكل واحد من هذه الثلاثة مخرجا

يخصه؛ فمخرج اللام أدنى حافة اللسان بعد مخرج الضاد إلى منتهى طرف اللسان مع ما يحاذي ذلك من لثة الضاحك والناب والرباعية والثنية؛ وأدنى حافة اللسان المراد به أقربها إلى مقدم الفم فيكون مخرج اللام أقرب من مخرج الضاد إلى مقدم الفم؛ واللثة اللحم النابت فيه الأسنان والحق أن اللام وصل من الحافة إلى طرف اللسان، ويمكن إخراج اللام من الحافتين معا إلا أن إخراجه من اليمنى أمكن وأيسر بخلاف الضاد كما تقدم، وأما الراء والنون وفي حكمه التنوين فكل منهما يخرج من طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الثنيتين العليين؛ والفرق بينهما أن مخرج الراء أدخل إلى ظهر اللسان فمخرج النون تحت مخرج اللام قليلا ومخرج الراء يقارب مخرج النون غير أنه أدخل إلى ظهر اللسان من مخرج النون؛ والمراد بظهر اللسان ظهره الموالي لرأسه من جهة الحنك الأعلى؛ وتسمى هذه الأحرف الثلاثة ذلقية وذلوقية لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه اهـ

أصل الثنايا طرف اللسان لطا وتا دال بلا بهتان
ونسبت للنطع أي في الكتب لكونها حذاءه بالقرب

هذا هو المخرج الثالث من مخارج طرف اللسان الخمسة وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا؛ والمراد بالثنايا هنا الثنيتان وعبروا عنهما بالجمع لأنه أخف قاله في النجوم الطوالع على الدرر اللوامع؛ والمراد بأصول الثنايا ما يلي اللثة منها وأخرج منه الطاء المهملة المشالة والتاء المثناة فوق والدال المهملة؛ وهذه الحروف وإن خرجت من مخرج واحد فهي مترتبة فيه بما يلي: اللثة من الثنيتين يخرج منه الطاء وبعده التاء وبعدهما الدال، وتسمى هذه الأحرف الثلاثة نطعية لمجاورة مخرجها نطع غار الحنك الأعلى لا لخروجها منه كما قيل؛ والنطع بكسر النون وإسكان الطاء وفتحها ما ظهر من الحنك الأعلى فيه آثار كالتحزيز كما في القاموس اهـ

مـــن طرفـــه ورأســـها يجـــاء بالظـــاء والـــذال كـــذاك الثـــاء
وانطــق بهــا فــي مخــرج مرتبــه وهـــي التـــي للثـــة منتســـبه

هذا هو المخرج الرابع من مخارج اللسان الخمسة وهو طرف اللسان وأطراف الثنايا وهو للظاء المشالة والذال المعجمتين والثاء المثلثة؛ وهي مترتبة في المخرج باعتبار قرب اللسان إلى الخارج فالذال أقرب من الظاء إلى الخارج والثاء أقرب من الذال إلى الخارج، وتسمى هذه الأحرف الثلاثة لثوية لقرب مخرجها من اللثة لا لخروجها منها كما قيل.

ودونهـــا بـــين الثنايـــا قـــد ذكـــر صـــاد وزاي ثـــم ســـين تســـتقر
وخرجـــت مـــن أســـلة اللســـان فنســـبت لهـــا لـــدى البيـــان

ذكر الناظم هنا رحمه الله تعالى حروف المخرج الخامس من مخارج اللسان وهو آخرها وهو مخرج الصاد والزاي والسين؛ فالضمير في دونها يرجع إلى الأحرف المتقدمة في البيتين قبل هذين؛ وهذه الأحرف الثلاثة تخرج من طرف اللسان من باطن الثنايا العليا من غير أن يماس اللسان ظهرها بل يسامتها ويحاذيها وتبقى فرجة يسيرة بين اللسان وباطنها عند النطق؛ والصاد أدخل والزاي أخرج والسين متوسطة، وتسمى هذه الأحرف الثلاثة أسلية لخروجها من أسلة اللسان وهو كما في النهاية والقاموس طرفه.

فمخارج اللسان عشرة على مذهب الخليل وسيبويه ومن وافقهما وثمانية على مذهب الفراء ومن وافقه؛ وحروفه ثمانية عشر وتسمى كلها لسانية لخروجها من اللسان وإن كان بمشاركة ما يحاذي كل منها من الفم كما يعلم مما تقدم.

فـي بـاطن مـن شـفة سـفلى لـدى رأس الثنايـا الفـاء ثمـت بـدا
وشـفتان ضـمتا منطبقـا هنـاك بالبـاء ومـيم نطقـا
والـواو مهمـا انفتحـا نـزرا وجـد وهـذه لشـفة انسـب تفـد

تكلم الناظم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات على مخرجي الشفتين وذكر لهما أربعة أحرف الفاء وتخرج من باطن الشفة السفلى وطرف الثنيتين العلييين والميم والباء والواو وتخرج الثلاثة بين الشفتين لكن بانطباقهما أي ضمهما في الميم والباء بأشد من الواو وانفتاحهما في الواو قليلا مع انضمامهما من انطباق أي تلاصق؛ والإطلاق يشمل الواو المدية وهو مذهب سيبويه وسيأتي مذهب الخليل رحمهما الله تعالى في البيت بعد هذا إن شاء الله تعالى، وهذه الأحرف تسمى شفهية وشفوية لخروجها من الشفة أي جنسها.

لكـن حـروف اللـين يـا خليـل مخرجهـا الجـوف لـدى الخليـل

هذا استدراك من الناظم رحمه الله تعالى مما تقدم يتضمن مذهب الخليل رحمه الله تعالى في أحرف اللين؛ قال في النجوم الطوالع: وذهب الخليل وجماعة أن الألف والواو الساكنة المتحرك ما قبلها بالضم والياء الساكنة المتحرك ما قبلها بالكسر تخرج من الجوف أي جوف الحلق والفم ويقال جو الحلق والفم والمراد بجوهما وجوفهما الخلاء أي الفراغ؛ وتسمى هذه الحروف هوائية لأنها لا مخرج لها محقق تنتهي إليه كسائر الحروف فإنها لها مخرج تنتهي إليه وإنما هي صوت ينتشر في هواء مخارجها بانتهائه؛ وتسمى أيضا جوفية لخروجها من الجوف؛ وتسمى أيضا حروف مد ولين لأنها تخرج بلين وامتداد لاتساع مخرجها فإن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت فيه وامتد ولان وإذا ضاق انضغط الصوت وصلب؛ وكل حرف مساو لمخرجه إلا هي ولذا قبلت الزيادة بالمد اهـ منه.

كـــذلك الخيشـــوم بعضـــهم جعـــل للمـــــيم والنـــــون وتنـــــوين محـــــل
لعـــــارض مـــــن ســـــبب لغنـــــة إذا علـــــى تلـــــك الـــــثلاث عنـــــت
وبعضـــهم يجعـــل ذا وصـــفا لهـــا مقالـــة فانصـــر لمـــن قـــد قالهـــا

أشار الناظم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات إلى ما قال بعضهم من أن الخيشوم يكون مخرجا للنون الساكنة والتنوين إن أدغما بغنة أو في حالة إخفائهما والنون والميم المشددان والميم إذا أدغمت في مثلها أو أخفيت عند الباء؛ وأطال في النجوم الطوالع الكلام هنا وحاصل كلامه أن الحروف المذكورات لا تنتقل إلى الخيشوم وأن المنتقل إليه الخارج من الغنة وهي صفة وأن المدغوم من الحروف المذكورات في مثله لا خفاء أنه لا ينتقل وكذا الميم عند الباء وأن الحروف التي تدغم فيها النون والتنوين ينتقلان إلى مخرج المدغومين فيه منها لأن إدغام غير المتماثلين يستدعي قلب المدغم إلى مثل المدغم فيه وخروج الأول من مخرج الثاني المدغم فيه وأن النون والتنوين الذين حكمهما الإخفاء ينتقلان إلى قرب مخرج المخفيين فيه على حسب قربهما منه في المخرج وبعدهما منه من غير أن يقلبا وأطال في توضيح ذلك.

يـــا صـــاح صـــبرا لا تـــزل مشـــمرا وهـــاك مـــا الجـــل عليـــه اقتصـــرا
ممـــا لهـــا مـــن صـــفة مشـــتهره وعـــد تلـــك ســـبعة مـــع عشـــره

صاح ترخيم صاحب وصبرا مصدر أغنى عن فعله ولا تزل مضارع زال الناقصة وهي تفيد اتصاف المخبر عنه بالخبر في ما لا يزال ولا الداخلة عليها ناهية جازمة؛ وهو حض من الناظم على مداومة الصبر والتشمير في طلب العلم النافع لأنه من معالي الأمور ولا ينال إلا بتوفيق الله تعالى وإعانته.

لخمسة مع خمسة تقابل وسبعة ليس لها مقابل
أولها الجهر بهمس قابلوا وشدة رخاوة تعادل
وضد الاستعلاء جاء الانسفال الاطباق الانفتاح ضده يقال
ذلاقة أحرفها مشتهره قابلها الإصمات كن محرره
بأحرف الصفير جئ والقلقله بلا مقابل كما للنقله
كذين الانحراف قل واللين والاستطالة كذي تبين
كذا التفشي جاء والتكرير وربنا العليم والخبير

نظم الناظم رحمه الله تعالى هنا ما قال إبراهيم المراغني رحمه الله تعالى في كتابه النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في شرح التذييل ونصه: عدد الصفات أي صفات الحروف المشهورة على ما ذكره ابن الجزري سبع عشرة صفة وتنقسم إلى قسمين: قسم له ضد أي مقابل وهو خمسة الجهر وضده الهمس والشدة وضدها الرخاوة والاستعلاء وضده الانسفال والإطباق وضده الانفتاح والإذلاق وضده الإصمات؛ والخمسة مع أضدادها عشرة، وقسم لا ضد له وهو سبع الصفير والقلقلة واللين والانحراف والتكرير والتفشي والاستطالة.

سماع بعض ما به كانت تماز فافهم أخي تفز بها أي مفاز
بضعف صوت عندهم بلا عناد قد عرفوا همسا لضعف الاعتماد
حروفه مضبوطة فيما أتى في لفظ حث شخصه فسكتا
وما سواها الجهر فيه يثبت بضد ما كان بهمس ينعت

اشتملت الأبيات على صفتين من صفات الحروف المتقابلة على الحرف؛ الأولى الهمس وهو في عشرة أحرف يجمعها هجاء حث شخصه فسكت كما نصوا عليه؛ وما بقي من حروف المعجم يوصف بالجهر، فالهمس لغة الخفاء واصطلاحا ضعف التصويت بالحرف لضعف الاعتماد عليه في مخرجه حتى جرى النفس معه فكان فيه همس أي خفاء فسمي مهموسا؛ والجهر لغة الإعلان والإظهار واصطلاحا قوة التصويت بالحرف لقوة الاعتماد عليه في مخرجه

حتى منع أن يجري النفس الكثير معه فكان فيه جهر أي إعلان وإظهار فسمي مجهورا كذا في النجوم الطوالع وغيرها، وفي القاموس ـ عاطفا على معاني الهمس ـ : وحبس الصوت في الفم مما لا إشراب فيه من صوت الصدر ولا جهارة في النطق وحروفه حث شخصه فسكت؛ وقال سيبويه رحمه الله تعالى: وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع النفخ لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر.

وقال الدماميني في شرحه التسهيل للإمام محمد بن مالك رحم الله تعالى الجميع على قوله من الحروف مهموسة الخ ما نصه: أخذ ذلك من الهمس وهو الخفاء وذلك أن النفس لما جرى معها لم يقو التصويت بها قوته في المجهورة فصار في التصويت بها نوع خفاء لانقسام النفس عند النطق بها؛ وقال في شرح قوله وما عداها مجهورة ما نصه: من قولك جهرت بالشيء إذا أعلنته أي أظهرته لأن التصويت بها قوي لامتناع النفس أي يجري معها فقوي التصويت بها لذلك اهـ وإذا نظر الناطق الذي لغته عربية أو لغته أكثرها قريب من العربية كالحسانية إلى نطقه بحروف الهمس المجموعة في هجاء حث شخصه فسكت وجد كلا من حروفها فيه خفاء وإذا تفطن وجد علة ذلك الخفاء ووجد علته خلو حروفها من صوت الصدر لأنها يخرج التنفس معها بسهولة فلا تحتاج لشدة اعتماد؛ وإذا نظروا إلى مقابلها وهو المجهور من الحروف وجده كله فيه جهر ظهور صوت وإذا تفطن وجد علته وجود صوت الصدر فيها لقوة الاعتماد عليها لعدم سهولة خروج النفس بدون ذلك بخلاف حروف الهمس فلا تحتاج في خروجها لذلك لأنها تخرج مع التنفس فلا ترده حتى يحتاج إلى زيادة اعتماد يشوبه صوت الصدر ليحصل التنفس؛ ومن هنا تعلم أن حروف الجهر لها حظ من اسمها وهو ظهور صوتها بالنسبة لحروف الهمس.

ولهذا قال الإمام صاحب الميسر محنض باب بن اعبيد رضي الله تعالى عنهما أن الجيم المنعقدة لا يوجد فيها الجهر؛ قال ذلك في نقلة له في الجيم مطبوعة مع تأليف حفيده حامد رضي الله تعالى عنه في الجيم وقد طبع في المغرب ومع ذلك ما قال فيها محمد اليدالي صاحب التفسير الذهب رضي الله تعالى عنه اهـ والذوق يعلم منه من فهم ما قالوا في الجهر ومقابله أن الجيم المنعقدة أقرب إلى الهمس من الجهر وأن الجيم الحسانية والتي يستعمل أكثر المنتسبين إلى العرب في تكلمهم بالعربية مجهورة لأنها أرفع وأظهر من المنعقدة في الصوت.

والحـــرف إن لـــزم مخرجـــا وقـــر ولـــم يكـــن مـــن ضـــغطة بـــه انتشـــر
فإنـــــه ذو شـــــدة بـــــلا نـــــزاع أجـــدت طبقـــك لهـــا بـــه اجتمـــاع
فـــي غيـــره رخـــاوة قـــد وردت وضـــد مـــا لشـــدة لهـــا ثبـــت
فـــي بعضـــها رخـــاوة قليلـــه وذاك يرعونـــا ولـــم قبيلـــه

اشتملت الأبيات على صفتين من صفات الحروف المتقابلة وهما الشدة والرخاوة؛ فحروف الشدة مجتمعة في هجاء أجدت طبقك قال في القاموس: والحروف الشديدة أجدت طبقك وهو ثمانية أحرف وما بقي من حروف الهجاء موصوف بالرخاوة وهي متشككة فيه أي متفاوتة؛ فمنه ما يوصف بها ومنها ما يوصف بتوسط الرخاوة وهو مجموع في قولهم لم يرعونا وذلك ثمانية أحرف وما بقي يوصف بالرخاوة الكاملة وهو ثلاثة عشر حرفا، قال في النجوم الطوالع: وهذا هو مقتضى كلام سيبويه وعليه جماعة وأسقط بعضهم الألف من المتوسط وبعضهم أسقط أحرف المد الثلاثة من المتوسط وعليه ابن الجزري وجماعة قف على النجوم الطوالع، والشدة معناها لغة القوة وهي في كل شيء بحسبه واصطلاحا لزوم الحرف لموضعه لقوة الاعتماد عليه أي بالنسبة لحروف الرخاوة حتى حبس الصوت أن يجري معه في حال ابتداء النطق به فكان فيه شدة أي قوة فسمي شديدا؛ والرخاوة لغة اللين واصطلاحا ضعف لزوم الحرف لموضعه لضعف الاعتماد عليه في مخرجه حتى جرى الصوت فكان فيه رخاوة أي لين فسمي رخوا انظره في النجوم الطوالع، وقد أطال حامد بن محمذن بن محنض باب رضي الله تعالى عنهم الكلام في تعريف الجهر والشدة ومقابلهما ونقل كلام أئمة هذا الفن في ذلك ووضحه.

والحاصل أن من تأمل كلامهم هنا وكان طالب حق منصفا ذا فهم يعلم أن لهم في تعريف الشدة والرخاوة عبارات مختلفة في الألفاظ ومتفقة في المعنى المراد منها؛ فمنهم من يعبر في تعريف الشدة بالانحصار ومنهم من يعبر بعدم الجري للصوت ومنهم من يعبر بلزوم الحرف موضعه لعدم جري الصوت ومنهم من عبر بعدم الامتداد كما يأتي عن سيبويه؛ وكذلك لهم في تعريف الرخاوة عبارات مختلفة في الألفاظ ومتفقة في المعنى فمنهم من عرف الرخاوة بضعف لزوم الحرف لمخرجه لجري الصوت ومنهم من عرفها بالانتشار للصوت والامتداد؛

ومرادهم يتعين أن يكون وصفا في حروف الشدة تتميز به عن حروف الرخاوة لا يوجد بها ووصف في حروف الرخاوة تتميز به عن حروف الشدة، واعلم أن الشدة تتفاوت في حروفها وكذلك الرخاوة؛ واعلم أن معنى الشدة قريب فهمه لمن علم أنه ضد الرخاوة ومقابلها فانظر بذوقك ما بين حروفهما فهو المعنى المراد بقوة الصوت في ابتداء النطق بحروف الشدة الذي يحتاج إلى اعتماد على الحرف حتى يثبت في موضعه عند النطق به هو معنى الشدة وضده هو الرخاوة؛ وجري الصوت المثبت في حروف الرخاوة والمنفي عن حروف الشدة ليس هو طول الصوت في حروف الرخاوة وعدم طوله في الحروف الشديدة لأن الهاء متفق على أنها من أشد حروف الرخاوة رخاوة وكذلك الضاد فهما يقبلان تمام جري الصوت ومعلوم أنه إذا وقف عليهما انعدم الصوت بمجرد النطق ولم يكن فيه طول كما أفاده حامد في تأليفه المذكور؛ وبه يعلم أن معنى جري الصوت في حروف الرخاوة هو سهولة النطق بها بلا احتياج إلى شدة انضغاط في المخرج؛ وأن معنى الشدة في حروف الشدة هو احتياج إخراجها من مخرجها إلى انضغاط؛ وهذا المعنى ظاهر من تسمية المدغم مشددا لاحتياجه في إخراجه من مخرجه إلى انحصاره في موضعه ولزومه له في حال النطق به ليمكن إدغامه في المدغم فيه؛ وهذا المعنى توجد منه نسبة في حرف الشدة في ابتداء النطق به لأنه يحتاج إلى شدة اعتماد في النطق به لا تحتاج إليها حروف الرخاوة؛ وبهذا يعلم أن قول سيبويه رحمه الله تعالى لو وقفت على الحج ثم مددت صوتك لم يجر معناه نفي جري الصوت المذكور في حروف الرخاوة أنها متصفة به ومتميزة به عن حروف الشدة؛ ومراده بيان أن حروف الشدة للزومها موضعها عند ابتداء النطق بها لقوة الاعتماد عليها لا يجري معها الصوت في ابتداء النطق أي لا ترتخي وينطلق منها بمجرد النطق بها بدون اعتماد وانحصار بخلاف حروف الرخاوة كما تقدم، واعلم أن حروف الشدة كلها ما عدا حرف الطاء من حروف الانفتاح والانفتاح كما يأتي عن أئمة هذا الفن هو عدم انطباق اللسان بالحنك الأعلى فحروفه ينفتح اللسان فيها عن الحنك الأعلى وتخرج الريح؛ والجيم متفق على أنها منفتحة ومنسفلة كما يأتي إن شاء الله تعالى عن الأئمة؛ والانفتاح والانسفال المسلم بينهم اتصاف الجيم بهما ظاهر معناهما ومنضبط وحسي فلا يمكن أن توصف معهما الجيم بجهر وشدة وقلقلة يخرجنها عنهما أي الانفتاح والانسفال اهـ.

وقوله في بعضها رخاوة قليلة الخ أفاد به الناظم رحمه الله تعالى أن هجاء لم يرعونا متوسطة فيه الرخاوة وتقدم ذلك.

والحـــرف إن بـــه اللســـان ينســـفل عـــن حنـــك أعلـــى ســـمه بمنســـفل
والضـــد الاســـتعلاء للحنـــك ارتفـــع صـــغق ضـــخطظ هجـــاؤه جمـــع
والانســـفال غيـــر ذي بـــه حـــري أي مـــا بقـــي مـــن معجـــم فيمـــا دري

تعرض الناظم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات للكلام على صفتين من صفات الحروف المتقابلة التي إذا اتصف الحرف بإحداهما انتفت عنه الأخرى ولا بد أن يتصف بإحداهما وتكلم هنا على صفتين من تلك الصفات وهما الانسفال والاستعلاء؛ فالاستعلاء توصف به سبعة أحرف أشار لها في النظم تبعا لترتيب الإمام صاحب القاموس رحمه الله تعالى بهجاء صغق ضخطظ، قال في القاموس: الحروف المستعلية صغق ضخطظ؛ فالانسفال . ويراد به الاستفال . معناه لغة الانخفاض واصطلاحا انحطاط اللسان على الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فينحط الصوت معه إلى قاع الفم فلذا تسمى حروفه مستفلة ومنخفضة؛ والاستعلاء معناه لغة الارتفاع واصطلاحا ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فينحط الصوت معه فلذا تسمى حروفه مستعلية، فالانسفال والاستعلاء صفتان متضادتان لا يجتمعان في حرف ولا يخلو من أحدهما انظر النجوم الطوالع ومثله لغيره من علماء هذا الفن، ومما رويت عن يحظيه بن ابا رحمه الله تعالى بيتا فيه إشارة بأول حروف كلماته إلى حروف الاستعلاء وهو:

قد صاد ضرَّار غلام خال طلحة ظبيا أحرف التعالي

وأحـــرف الإطبـــاق عـــد أربعـــه طـــاء وظـــا صـــاد وضـــاد متبعـــه
لكونهـــا منطبقـــا فيهـــا اللســـان بالحنـك الأعلـى لاصـقا فيمـا اسـتبان
وغيرهـــــا بالانفتـــــاح متصـــــف وضـــد مـــا لمطبـــق بـــه وصـــف

اشتملت الأبيات على صفتين من صفات الحروف المتقابلة المتضادة التي لا يجتمع في حرف منها ثنتان متضادتان ولا يخلو من إحداهما وهما الإطباق والانفتاح مقابله؛ فالإطباق توصف به أربعة أحرف وهن الطاء المهملة والظاء المعجمة المشالتان والصاد المهملة والضاد المعجمة وما سوى هذه الحروف الأربعة يوصف بالانفتاح وهو خمسة وعشرون حرفا؛ فالإطباق ويقال له أيضا الانطباق معناه لغة الإلصاق والتلاصق واصطلاحا انطباق طائفة من اللسان على الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فينحصر الصوت بينهما فلذا تسمى حروفه مطبقة؛ والانفتاح معناه لغة الافتراق واصطلاحا انفتاح ما بين اللسان والحنك أي الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فلا ينحصر الصوت اهـ أفاده في النجوم الطوالع، وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: الإطباق لغة الالتصاق وسميت حروفه مطبقة لانطباق طائفة من اللسان بالحنك الأعلى عند النطق بها ومثله لعلي النووي اهـ وقال في الفجر الساطع في وجه تسمية المنفتحة ما لفظه: سميت منفتحة لأن اللسان لا ينطبق مع الريح على الحنك عند النطق بها ولا ينحصر الريح مع اللسان والحنك بل ينفتح ما بين اللسان والحنك ويخرج الريح عند النطق بها.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى:

ذلاقة في مر بنفل عهدت وعجمة قالوا بها إن فقدت
في كل ما أصوله كانت تزيد على ثلاثة كما النقل يفيد
وما سوى هذي بالاصمات وصف في ألف المد خلافهم عرف
ع عشرة بمنع خلو واجتماع في معجم قد عرفت بلا نزاع

اشتملت الأبيات على صفتين من صفات الحروف المتقابلة التي لا تجتمع ولا يخلى منها وهما الذلاقة والإصمات؛ وحروف الذلاقة ستة جمعها أهل هذا الفن بهجاء مر بنفل وما عدا هذه الستة يوصف بالإصمات وهو ثلاثة وعشرون حرفا؛ ومذهب الأكثر أن الألف المدية منها؛ وقال أبو محمد مكي أنها لا توصف بواحدة من الصفتين لأنها هوائية لا استقرار لها في المخرج، والذلاقة من معانيها الفصاحة والخفة في الكلام؛ ووجه تسمية الذلاقة بها خفتها وفصاحتها فلذا كان لا يخلو رباعي الأصول ولا خماسيها من واحد فأكثر من أحرف الذلاقة؛ وإن وجد ما فوق الثلاثي أصلي البنية خاليا منها حكم بعجمته، والإصمات لغة المنع وسميت حروفه بذلك لأنها امتنع أن يوجد منها وحدها رباعي الأصول أو خماسيها في لغة العرب، ولم يذكر ابن بري ولا الشاطبي رحمهما الله تعالى وجماعة صفتي الذلاقة والإصمات لأن كلامهم إنما هو في صفات لها مدخل في الأداء وهما لا مدخل لهما فيه.

واعلم أنه لا بد لكل حرف من الحروف التسعة والعشرين أن يتصف بخمس صفات من الصفات العشر المتقابلة المتضادة ولكن لا تجتمع في الحرف الواحد منها صفتان متقابلتان؛ فلا يكون حرف واحد مجهورا مهموسا ولا يكون شديدا رخوا ولا يكون مستعليا منسفلا مثلا، وأما صفات الحروف التي لا تقابل بينها فلا يمتنع اجتماعها ولا الخلو منها كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقف على النجوم الطوالع.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى:

أمـــا الـــذي لـــيس بـــذي تقابـــل مـــن الصـــفات هاكـــه يـــا ســـائلي
صـــــفيرها صـــــاد زس فيمـــــا ورد مدلولـــــه فـــــي ذي الثلاثـــــة وجـــــد

هذا شروع في بيان صفات الحروف التي لا تضاد بينها ولا تقابل والتي تقدم ذكرها جملة؛ وتضمن البيتان منها الصفير وحروفه والإشارة إلى معناه، والضمير في صفيرها يرجع إلى الحروف والإضافة بمعنى النسبة، فالصفير في ثلاثة أحرف الصاد والزاي والسين وسميت بذلك لأنك إذا وقفت عليها سمعت لها صفيرا يشبه صفير الطائر لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك ويخرج صوت كصفير الطائر؛ وأقواها في الصفير الصاد للاستعلاء والإطباق ويليها الزاي لجهرها وأضعفها السين لهمسها اهـ النجوم الطوالع.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى:

ثـــم التفشـــي عنـــدهم وفقـــا وجـــد فـــي الشـــين والفـــاء بهـــا خلـــف عهـــد
وهـــو انتشـــار الصـــوت فـــي فـــم عـــرف فـــي الضـــاد والثـــا جـــا علـــى قـــول ضـــعف

اشتمل البيتان على ذكر التفشي وما يدخله من الحروف ومعناه في الاصطلاح وهو من صفات الحروف التي لا مقابل لها؛ فالتفشي لغة الانتشار واصطلاحا انتشار الصوت في الفم عند النطق بالحرف؛ والشين متفق أنها متفشية وعد ابن بري الفاء متفشية وعليه بعضهم واقتصر الأكثر على الشين؛ وزاد بعضهم الضاد فوصفها بالتفشي وحكاه ابن بري بصيغة التمريض؛ وزاد بعضهم الثاء وهو ضعيف أيضا؛ قال في النجوم الطوالع: والصحيح اختصاص الشين به لكثرته فيها وقلته في غيرها اهـ وعليه فالحروف التي قيل به فيها لها نسبة منه قليلة بالنسبة للشين.

والضـــاد فـــردا صـــف بالاســـتطالة أي مـــــدها مـــــن حافـــة لحافـــة

هذه هي الصفة الثالثة من صفات الحروف التي ليس لها مقابل وهي الاستطالة وتوجد في حرف الضاد وحده؛ وهي لغة الامتداد واصطلاحا قال الجعبري: امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها أي حافته؛ ووصفت به الضاد لأنها استطالت مخرجا وصوتا حتى اتصلت بمخرج اللام اهـ

بـــالانحراف عنـــدهم قـــد وصـــفا لام وراكلاهمـــــا بـــــلا خفـــــا
عـــن مخـــرج إن مـــال حـــرفٌ الانحـــراف وغيـــر ذيـــن مـــا لـــه بـــه اتصـــاف

اشتمل البيتان على الصفة الرابعة من صفات الحروف التي لا مقابل لها وهي الانحراف وتوصف به اللام والراء؛ واقتصر ابن بري على اللام والمشهور أن الراء مثلها في ذلك، وهو أي الانحراف لغة الميل واصطلاحا ميل حرف وانحرافه عن مخرجه؛ فاللام مالت إلى طرف اللسان الذي هو مخرج بعض الحروف والراء مالت وانحرفت إلى ظهر اللسان ومالت قليلا إلى جهة اللام ولذا يجعلها الألثغ لاما.

وصـــف بتكريـــر لـــراء لا عـــدا واحفـــظ لســـانك بـــه مـــن اعتـــدا

هذه الصفة الخامسة من صفات الحروف التي لا مقابل لها وهي التكرير وتوصف به الراء وحدها؛ وهو إعادة نطقه مرة أو مرات لأنها قابلة لذلك؛ والقصد من معرفة هذه الصفة التحفظ منها ما أمكن؛ قال أبو محمد مكي: واجب على القارئ أن يخفي تكرير الراء فمتى أظهره فقد جعل من الحرف المشدد حروفا ومن المخفف حرفين اهـ ولكن لا بد في النطق به من تكرير ولكن لا يتبعه الناطق ويحكم لسانه، قال سيبويه في الكتاب: ومنها المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتجافى للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت وهو الراء اهـ وعلى هذا لا يخلو النطق به حال تسكينه أو تشديده من

تكرير ولكن يؤمر التالي أن لا يتبعه؛ والذوق يقضي بأن هذا في الراء المسكن أو المشدد أما المخفف المحرك فالتكرير فيه خفيف جدا.

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى:

قلقلـــة هجاؤهـــا قطـــب جـــد للجهـــر والشـــدة ليســـت تفقـــد
لمنعهـــا للـــنفس والصـــوت لـــزم قلقلـــة فـــي نطقهـــا كمـــا علـــم
لكنهـــا فـــي غيـــر قـــاف ضـــعفت فهـــي الـــذي بكلهـــا قـــد وصـــفت
بـــل غيرهـــا قـــد ذكـــروا فيـــه خـــلاف فـــافهم مقـــولهم هنـــا بـــلا انحـــراف
وغيـــر مـــا ســـكن أو مـــا شـــددا مـــن ذي الحـــروف ضـــعفها فيـــه بـــدا

اشتملت الأبيات على الصفة السادسة من صفات الحروف التي لا تقابل بينها وهي القلقلة والحروف المتصفة بها وتفاوتها فيها، قال في القاموس: وحروف القلقلة جطد قب وهي لغة التحريك؛ وقال الخليل: القلقلة شدة الصياح وشدة الصوت واصطلاحا صوت حادث عند خروج الحرف ساكنا لشدة لزومه لموضعه وضغطه فيه لأن حال سكون حروفها لا تتبين إلا بإخراجها شبيهة بالمقلقل المحرك لضغطها ولزومها موضعها لأنها شديدة مجهورة؛ فالشدة تمنع الصوت أن يجري معها والجهر يمنع النفس أن يجري معها؛ فلما امتنع الصوت أن يجري معها أي في ابتداء بخلاف الرخاوة وامتنع النفس أن يجري أي لا ينطق بها في حال التنفس إلى خارج بخلاف الهمس احتيج في إخراجها من مخرجها إلى تحريكها وهو معنى القلقلة فيحدث صوت يشبه النبرة وهي في المحرك ضعيفة؛ ومحل قوة القلقلة فيما هي قوية فيه القاف المسكن وهي في المسكن وقفا أقوى؛ فالقاف باتفاقهم أشد قلقلة من غيرها لشدة ضغطه واستعلائه اهـ انظر النجوم الطوالع، وذكر الشاطبي رحمه الله تعالى أن ما عدا القاف منهن منهم من لم يثبت له قلقلة بالمفهوم حيث قال:

وأعرفهن القاف كل يعدها فهذا بعون الله كان محصلا

قال ابن الفاصح في شرحها: بخلاف غيرها اهـ من رسالة حامد بن محمذن بن محنض باب رضي الله تعالى عن الجميع في رسالته في الجيم.

وقال في النجوم الطوالع وإنما لم يعدوا الهمزة من حروف القلقلة مع أنها شديدة مجهورة لأنها كالتهوع وكالسعلة في النطق بها فجرت عادتهم بإخراجها بلطف ورفق وعدم تكلف في ضبط مخرجها ليلا يظهر صوت يشبه التهوع والسعلة؛ وعدها بعضهم من حروف القلقلة وهو خلاف ما عليه الجمهور اهـ

والحرف إن يخرج بلا تكلف ... فإنه اللين يسمى فاعرف
وألف والواو ياء قلبا ... حروفه ثلاثة بلا ربا
فهذه من شهرة كما دري ... أكثرهم لغيرها لم يذكر
والحمد لله على التمام ... صلى وسلم على التهامي
وآله وصحبه ونفعا ... قارئ ذا النظم ومن فيه سعى
هب رب لي عافية الدارين ... واللطف في المقدور كل حين
أنا ومن له علي حق ... أي مؤمن رسولنا يصدق

ذكر الناظم رحمه الله تعالى الصفة السابعة من صفات الحروف التي لا تقابل بينها وهو اللين ومعناه وذكر الحروف التي تتصف به؛ واللين لغة ضد الخشونة واصطلاحا خروج الحرف من غير كلفة على اللسان؛ وحروفه ثلاثة الألف مطلقا والواو والياء إن قلبا مدة لتحرك ما قبلهما بضم وكسر؛ وهو والمد وصفان لازمان للألف من غير شرط ويكونان في الواو والياء لمجانسة الحركة بأن يكون قبل الواو ضمة كيدعو وقبل الياء كسرة كيرمي؛ وتسمى الحروف الثلاثة أي الألف مطلقا والياء التي قبلها كسرة والواو التي قبلها ضمة بحروف المد واللين لأنها تخرج بامتداد بغير كلفة على اللسان لاتساع مخرجها؛ وكل حرف مساو لمخرجه إلا هي فلذلك قبلت الزيادة في المد بالتطويل والتوسط والقصر اهـ راجع النجوم الطوالع وغيره.

وقول الناظم رحمه الله تعالى فهذه من شهرة الخ الإشارة في هذه إلى الصفات التي تضمن هذا النظم وهي سبع عشرة صفة منها عشرة متضادة متقابلة وسبعة غير متقابلة؛ وأفاد أن أكثر أئمة أهل هذا الفن لم يذكر غيرها لشهرتها ومفهوم ذلك أن منهم من ذكر صفات غيرها؛ قال في النجوم الطوالع: أوصلها بعضهم ـ أي صفات الحروف ـ إلى أربعة وأربعين صفة

ومن تلك الصفات الهت وتوصف به التاء وحدها؛ والهت بفتح الهاء وهو سرد الكلام على سرعة؛ والحرف المهتوت الذي يسرع النطق به؛ ووصفت به التاء لأنها حرف خفيف لا يصعب التكلم به على سرعة، وقيل هو الهاء لخفائها وضعفها وسرعتها على اللسان. ومنها الهوى بضم الهاء وهو لغة الصعود وبفتحها النزول؛ والحرف الهاوي الألف وسمي بذلك لأنه عند النطق به يهوي في مخرجه من غير عمل عضو فيه لاتساع مخرجه جدا بخلاف الواو والياء المديتين فإن مخرجهما وإن اتسع فإنه دون مخرج الألف في الاتساع ولذلك يحتاج إلى عمل عضو فيهما وهو ضم الشفتين في الواو ورفع اللسان إلى الحنك الأعلى في الياء. ومنها الخفاء والظهور فالخفاء معناه لغة الاستتار واصطلاحا خفاء صوت الحرف وحروفه أربعة حروف: المدة لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجا الألف ثم الياء ثم الواو والحرف الرابع الهاء لاجتماع صفات الضعف فيها كما تقدم من همسها ورخوها اهـ وقد نصوا أن هذه الحروف الأربعة لخفائها يتحفظ على بيانها وما عدا هذه الأربعة موصوف بالظهور راجع النجوم الطوالع وكتاب سيبويه وغيرهما اهـ

وهنا انتهى ما يسره الله تعالى لعبده المفتقر إليه الراجي عفوه ورحمته سيد محمد بن عبد الرزاق من نظم مخارج الحروف وصفاتها والتعليق عليه بكلام العلماء في ذلك اللهم بارك فيه وانفع به واختم لنا بالحسنى وأجز عنا كل من له حق علينا بأحسن الجزاء يا الله يا رحمان يا رحيم آمين ما شاء الله لا قوة إلا بالله والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اهـ .